تفسير سورة الاعلىٰ

تفسير بحر العلوم لابوالليث سمرقندي

أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي (333 هـ - 373 هـ)،

* تفسير بحر العلوم/ السمرقندي (ت 375 هـ) مصنف و مدقق

{ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلأَعْلَىٰ } * { ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ } * { وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ } * { وَٱلَّذِيۤ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ } * { فَجَعَلَهُ غُثَآءً أَحْوَىٰ }

قوله تعالى: { سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلأَعْلَىٰ } قال الكلبي: يعني صلِّ بأمر ربك، ويقال سبح هو من التنزيه والبراءة يعني نَزِّه ربك، والاسم صلة، ويقال: (سبح اسم ربك الأعلى) يعني: قل سبحان ربي الأعلى كما روي في الخبر أنه قيل: يا رسول الله ما نقول في ركوعنا فنزل " سبح اسم ربك الأعلى " بمعنى العالي (كقوله أكبر بمعنى الكبير والعلو هو القهر والغلبة يعني أمره نافذ على خلقه فلما نزل (فسبح باسم ربك العظيم) فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - **" اجعلوها في ركوعكم "** فقالوا فما نقول في سجودنا؟ فنزل " سبح اسم ربك الأعلى " قال عليه السلام: **" اجعلوها في سجودكم "** ويقال **" سبح اسم ربك "** يعني اذكر توحيد ربك الأعلى، ويقال كان بدء قوله **" سبحان ربي الأعلى "** أي ميكائيل خطر على باله عظمة الرب جلا وعلا سلطانه فقال: يا رب أعطني قوة حتى أنظر إلى عظمتك وسلطانك، فأعطاه قوة أهل السموات فطار خمسة آلاف سنة فنظر فإذا الحجاب على حاله واحترق جناحه من نور العرش ثم سأل القوة فأعطاه القوة ضعف ذلك فجعل يطير ويرتفع عشرة آلاف سنة حتى احترق جناحه وصار في آخره كالفرخ ورأى الحجاب والعرش على حاله فخر

ساجداً وقال " سبحان ربي الأعلى " يعني: تعالى من أن يكون محسوساً معقولاً ثم سأل ربه أن يعيده إلى مكانه إلى حاله الأولى ثم قال عز وجل: { ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ } يعني: الذي خلق كل ذي روح، وجميع خلقه، ويقال سبح الله تعالى الذي خلقك فسوى خلقك يعني: اليدين والرجلين والعينين ولم يخلقك زمناً ولا مكفوفاً، كما قال وصوَّركم فأحسن صوركم قوله تعالى: { وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ } يعني: قدر لكل شيء شكله، يعني لكل ذكر وأنثى من شكله وهداه للأكل والشرب والجماع، ويقال الذي قدر فهدى يعني فهداه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ويقال الذي قدر فهدى سبح لله الذي خلقك وقدر آجالك وأرزاقك وأعمالك وهداك إلى المعرفة والإسلام والأكل والشرب فصلّ بابن آدم وسبح لهذا المنعم المكرم السيد الذي هو الأحد الصمد،

{ هُوَ ٱلأَوَّلُ وَٱلآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَٰطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }

[الحديد: 3] ثم قال عز وجل: { وَٱلَّذِى أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ } يعني: أنبت الكلأ ويقال هو العشب والحشيش وألقت وما أشبه، قرأ الكسائي " والذي قدر " بالتخفيف، والباقون بالتشديد ومعناها واحد يقال قدره الأمر وقدرته قوله تعالى: { فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ } يعني: جعل المرعي يابساً بعد خضرته، وقال القتبي: غثاء يعني يابساً، أحوى يعني أسود من قدمه واحتراقه.

{ سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَىٰ } * { إِلاَّ مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ } * { وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ } * { فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ } * { سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ } * { وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلأَشْقَى } * { ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ } * { ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَا }

قال عز وجل: { سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَىٰ } يعني: سنعلمك القرآن وينزل عليك فلا تنسى إلا ما شاء الله، يعني قد شاء الله أن لا تنسى القرآن فلم ينس القرآن بعد نزول هذه الآية. وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يأخذ في قراءته قبل أن يفرغ جبريل عليه السلام مخافة أن ينساه ويقال " سنقرئك فلا تنسى " يعني: سنحفظ عليك

حتى لا تنسى شيئاً، ويقال إن جبريل عليه السلام كان ينزل عليه في كل زمان ويقرأ عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويبين له ما نسخ فذلك قوله { إِلاَّ مَا شَاء ٱللَّهُ } يعني: إلا ما شاء الله أن يرفعه وينسخه ويذهب من قلبك ثم قال تعالى: { إِنَّهُ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ } يعني: يعلم العلانية والسر، ويقال ما يجهر به الإمام في الفجر والمغرب والعشاء والجمعة وما يخفى يعني: في الظهر والعصر والسنن، ويقال " يعلم " ما يظهر من أفعال العباد وأقوالهم " وما يخفى " من أقوالهم وأفعالهم، ويقال " يعلم " ما عمل العباد " وما يخفى " يعني ما لم يعملوه وهم عاملوه ثم قال عز وجل: { وَنُيَسّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ } يعني: سنهوّن عليك حفظ القرآن وتبليغ الرسالة، ويقال يعني: نعينك على الطاعة، قوله تعالى: { فَذَكّرْ } يعني: فعِظْ بالقرآن الناس { إِن نَّفَعَتِ ٱلذّكْرَىٰ } يعني: إن نفعتهم العظة ومعناه ما نفعت العظة بالقرآن إلا لمن يخشى ويقال إن نفعت الذكرى يعني إن قولك ودعوتك تنفع لكل قلب عاقل ويقال (سنيسرك لليسرى) يعني: نهون عليك عمل أهل الجنة ثم قال: { سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ } يعني: يتعظ بالقرآن من يخشى الله تعالى ويسلم ويقال معناه سيتعظ ويؤمن ويعمل صالحاً من يخشى قلبه من عذاب الله تعالى { وَيَتَجَنَّبُهَا } يعني: يتباعد عنها يعني عن عظتك { ٱلأَشْقَى } يعني: الشقي الذي وجب في علم الله تعالى أنه يدخل النار مثل الوليد وأبي جهل ومن كان مثل حالهما { ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ } يعني: يدخل يوم القيامة النار الكبرى يعني: النار العظمى لأن نار الدنيا هي النار الصغرى ونار الآخرة هي النار الكبرى، وروى يونس عن الحسن عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: **" إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم وقد غمست في النار مرتين ليُدنى منها ويُنتفع بها ولولا ذلك ما دنوتم منها "** ويقال إنها تستجير أن ترد إلى جهنم يعني تتعوذ منها وقال بعض الحكماء: علامة الشقاوة تسع أشياء كثرة الأكل، والشرب، والنوم، والإصرار على الذنب، والغيبة، وقساوة القلب، وكثرة الذنوب، ونسيان الموت، والوقوف بين يدي الملك عز وجل، وهذا هو الشقي الذي يدخل النار الكبرى { ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَىٰ } يعني: لا يموت في النار حتى يستريح من عذابها ولا يحيا

حياة تنفعه، وقال القتبي معناه: هو العذاب بحال من يموت ولا يموت.

{ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ } * { وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ } * { بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا } * { وَٱلآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ } * { إِنَّ هَـٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلأُولَىٰ } * { صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ }

قال عز وجل: { قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ } يعني فاز ونجا من هذا العذاب وسعد بالجنة من تزكى يعني وحّد الله تعالى وزكى نفسه بالتوحيد { وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبّهِ } يعني توحيد ربه { فَصَلَّىٰ } مع الإمام الصلوات الخمس، [ويقال (قد أفلح من تزكى) يعني أدى زكاة الفطر (وذكر اسم ربه فصلى) مع الإمام صلاة العيد] ويقال (قد أفلح من تزكى) يعني أدى زكاة المال، يعني نجا من خصومة الفقراء يوم القيامة (وذكر اسم ربه فصلى) يعني كبّر وصلى لله تعالى، ويقال (من تزكى) يعني تاب من الذنوب (وذكر اسم ربه) يعني إذا سمع الآذان خرج إلى الصلاة ثم ذم تارك الجماعة لأجل الاشتغال بالدنيا فقال { بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا } يعني تختارون عمل الدنيا على عمل الآخرة، قرأ أبو عمرو (بل يؤثرون) بالياء على معنى الخبر عنهم والباقون بالتاء على معنى المخاطبة ثم قال عز وجل { وَٱلآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ } يعني عمل الآخرة خير وأبقى من اشتغال الدنيا وزينتها، ويقال معناه يختارون عيش الدنيا الفانية على عيش الآخرة الباقية وإن عيش الآخرة خير وأبقى لأن في عيش الدنيا عيوباً كثيرة خوف المرض والموت والفقر والذل والهوان والزوال والحبس والمنع وما أشبه ذلك وليس في عيش الآخرة شيء من هذه العيوب، لأجل هذا قيل خير من الدنيا قوله تعالى: { إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلأُولَىٰ } يعني الذي ذكر في هذه السورة كان في الصحف الأولى يعني في الكتب الأولى ثم فسره فقال { صُحُفِ إِبْرٰهِيمَ وَمُوسَىٰ } ويقال الذي ذكر في آخر السورة أربع آيات لفي كتب الأولين وكل كتاب مكتوب يسمى الصحف يعني في قوله قد أفلح من تزكى الخ الآية.

* تفسير النكت والعيون/ الماوردي (ت 450 هـ) مصنف و مدقق

{ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلأَعْلَىٰ } * { ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ } * { وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ } * { وَٱلَّذِيۤ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ } * { فَجَعَلَهُ غُثَآءً أَحْوَىٰ } * { سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَىٰ } * { إِلاَّ مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ } * { وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ } * { فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ } * { سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ } * { وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلأَشْقَى } * { ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ } * { ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَا }

قوله تعالى { سَبِّح اسمَ رَبِّكَ الأعْلَى } فيه أربعة أقاويل:
* أحدها: عظّم ربك الأعلى، قاله ابن عباس والسدي، والاسم صلة قصد بها تعظيم المسّمى، كما قال لبيد:

إلى الحْولِ ثم اسم السلام عليكما ... ومَنْ يَبْكِ حَوْلاً كاملاً فقد اعتذر

- الثاني: نزّه اسم ربك عن أن يسمى به أحد سواه، ذكره الطبري.
- الثالث: معناه ارفع صوتك بذكر ربك، قال جرير:

قَبَحَ الإلهُ وَجوه تَغْلبَ كلّما ... سَبَحَ الحجيجُ وكبّروا تكبيرا

الرابع: صلّ لربك،

فعلى هذا في قوله " اسم ربك " ثلاثة أوجه:
* أحدها: بأمر ربك.
* الثاني: بذكر ربك أن تفتتح به الصلاة.
* الثالث: أن تكون ذاكراً لربك بقلبك في نيتك للصلاة.
وروي أن عليّاً وابن عباس وابن عمر كانوا إذا افتتحوا قراءة هذه السورة قالوا: "سبحان ربي الأعلى " امتثالاً لأمره تعالى في ابتدائها، فصار الاقتداء بهم في قراءتها، وقيل إنها في قراءة أُبيّ: " سبحان ربي الأعلى " وكان ابن عمر يقرؤها كذلك.
{ الذي خَلَقَ فَسَوَّى }

يحتمل ثلاثة أوجه:
أحدها: يعني أنشأ خلقهم ثم سوّاهم فأكملهم.
الثاني: خلقهم خلقاً كاملاً وسوّى لكل جارحة مثلاً.
الثالث: خلقهم بإنعامه وسوّى بينهم في أحكامه، قال الضحاك:

خلق آدم فَسوّى خلقه.
ويحتمل رابعاَ: خلق في أصلاب الرجال، وسوّى في أرحام الأمهات.
ويحتمل خامساً: خلق الأجساد فسّوى الأفهام.

{ والذي قَدَّرَ فَهَدَى } فيه ثلاثة تأويلات:
* أحدها: قدّر الشقاوة والسعادة، وهداه للرشد والضلالة، قاله مجاهد.
* الثاني: قدر أرزاقهم وأقواتهم، وهداهم لمعاشهم إن كانوا إنساً، ولمراعيهم إن كانوا وحشاً.
* الثالث: قدرهم ذكوراً وإناثاً، وهدى الذكر كيف يأتى الأنثى، قاله السدي.
* ويحتمل رابعاً: قدر خلقهم في الأرحام، وهداهم الخروج للتمام.
* ويحتمل خامساً: خلقهم للجزاء، وهداهم للعمل.
{ والذي أَخْرَجَ المْرعى } يعني النبات، لأن البهائم ترعاه، قال الشاعر:

وقد يَنْبُتُ المرعى على دِمَنِ الثّرَى
وتَبْقَى حَزازاتُ النفوسِ كما هِيا

{ فَجَعَلهُ غُثاءً أَحْوَى } فيه ثلاثة أوجه:
أحدها: أن الغثاء ما يبس من النبات حتى صار هشيماً تذروه الرياح.
الأحوى: الأسود، قال ذي الرمة:

لمياءُ في شَفَتَيْها حُوَّةٌ لَعَسٌ
وفي اللّثاتِ وفي أَنْيابها شَنَبُ

وهذا معنى قول مجاهد.
الثاني: أن الغثاء ما احتمل السيل من النبات، والأحوى: المتغير، وهذا معنى قول السدي.

الثالث: أن في الكلام تقديماً وتأخيراً، ومعناه أحوى فصار غثاء، والأحوى: ألوان النبات الحي من أخضر وأحمر وأصفر وأبيض، ويعبر عن جميعه بالسواد كما سمي به سواد العراق، وقال امرؤ القيس:

وغيـثٍ دائـمِ التهْـتـا ... نِ حـاوي النـبـتِ أدْهـم

والغثاء: الميت اليابس، قال قتادة: وهو مثل ضربه الله تعالى للكفار لذهاب الدنيا بعد نضارتها.
{ سنُقْرِئك فلا تَنسَى } فيه وجهان:
أحدهما: أن معنى قوله: فلا تنسى، أي فلا تترك العمل إلا ما شاء الله أن يترخص لك فيه، فعلى هذا التأويل يكون هذا نهياً عن الشرك.
والوجه الثاني: أنه إخبار من الله تعالى أنه لا ينسى ما يقرئه من القرآن، حكى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه جبريل بالوحي يقرؤه خيفة أن ينساه، فأنزل الله تعالى: " سنقرئك فلا تنسى " يعني القرآن.
{ إلا ما شاءَ اللهُ } فيه وجهان:
أحدهما: إلا ما شاء الله أن ينسخه فتنساه، قاله الحسن وقتادة.
الثاني: إلا ما شاء الله أن يؤخر إنزاله عليك فلا تقرؤه، حكاه ابن عيسى.

{ إنهُ يَعْلَمُ الجهْرَ وما يَخْفَى } فيه أربعة تأويلات:
أحدها: أن الجهر ما حفظته من القرآن في صدرك، وما يخفى هو ما نسخ من حفظك.
الثاني: أن الجهر ما علمه، وما يخفى ما سيتعلمه من بعد، قاله ابن عباس.
الثالث: أن الجهر ما قد أظهره، وما يخفى ما تركه من الطاعات.

{ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى } فيه ثلاثة تأويلات:
أحدها: نيسرك لأن تعمل خيراً، قاله ابن عباس.
الثاني: للجنة، قاله ابن مسعود.
الثالث: للدين واليسر وليس بالعسر، قاله الضحاك.

{ فذكّرْ إن نَّفَعتِ الذِّكْرَى } وفيما يذكر به وجهان:
أحدهما: بالقرآن، قاله مجاهد.
الثاني: بالله رغبة ورهبة، قاله ابن شجرة.
وفي قوله: { إنْ نَفَعَتِ الذّكْرى } وجهان:
أحدهما: يعني إن قبلت الذكرى وهو معنى قول يحيى بن سلام.
الثاني: يعني ما نفعت الذكرى، فتكون " إنْ " بمعنى ما الشرط، لأن الذكرى نافعة بكل حال، قاله ابن شجرة.

{ سَيّذَّكَرُ مَن يَخْشى } يعني يخشى الله، وقد يتذكر من يرجوه، إلا أن تذكرة الخاشي أبلغ من تذكرة الراجي فلذلك علقها بالخشية دون الرجاء، وإن تعلقت بالخشية والرجاء.
{ وَيَتَجَنَّبُها الأشْقَى } يعني يتجنب التذكرة الكافر الذي قد صار بكفره شقياً. { الذي يَصْلَى النّارَ الكُبْرىَ } فيه وجهان:
أحدهما: هي نار جهنم، والصغرى نار الدنيا، قاله يحيى بن سلام.
الثاني: الكبرى نار الكفار في الطبقة السفلى من جهنم، والصغرى نار المذنبين في الطبقة العليا من جهنم، وهو معنى قول الفراء.
{ ثم لا يَمُوتُ فيها ولا يَحْيَا } فيه وجهان:
أحدهما: لا يموت ولا يجد روح الحياة، ذكره ابن عيسى.
الثاني: أنه يعذب لا يستريح ولا ينتفع بالحياة، كما قال الشاعر:

ألا ما لنفسٍ لا تموتُ فَيَنْقَضِي ... عَناها ولا تحْيا حياةً لها طَعمْ.

{ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ **}** * **{** وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ **}** * **{** بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا **}** * **{** وَٱلآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ **}** * **{** إِنَّ هَـٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلأُولَىٰ **}** * **{** صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ **}**

{ قد أفْلَحَ من تَزَكّى } فيه أربعة تأويلات:
* أحدها: من تطهّر من الشرك بالإيمان، قاله ابن عباس.
* الثاني: من كان صالح عمله زكياً نامياً، قاله الحسن والربيع.
* لم يذكر الثالث راجع التعليق ص. 44.

* الرابع: أنه عنى زكاة الأموال كلها، قاله ابو الأحوص.
* ويحتمل خامساً: أنه من ازداد خيراً وصلاحاً.

{ وذكَرَ اسمَ ربِّه فَصَلّى } فيه ستة أوجه:
أحدها: أن يوحد الله، قاله ابن عباس.
الثاني: أن يدعوه ويرغب إليه.
الثالث: أن يستغفروه ويتوب إليه.
الرابع: أن يذكره بقلبه عند صلاته فيخاف عقابه ويرجو ثوابه، ليكون استيفاؤه لها وخشوعه فيها بحسب خوفه ورجائه.
الخامس: أن يذكر اسم ربه بلسانه عند إحرامه بصلاته، لأنها لا تنعقد إلا بذكره. السادس: أن يفتتح كل سورة ببسم الله الرحمن الرحيم.

وفي قوله " فصلّى " ثلاثة أقاويل:
أحدها: الصلوات الخمس، قاله ابن عباس.
الثاني: صلاة العيد، قاله أبو سعيد الخدري.
الثالث: هو أن يتطوع بصلاة بعد زكاة، قاله أبو الأحوص.
وذكر الضحاك أنها نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه.
{ بل تُؤْثرون الحياةَ الدُّنْيا } فيه وجهان:

أحدهما: أن المراد بها الكفار، فيكون تأويلها: بل تؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة.
الثاني: أن المراد بها المسلمون، فيكون تأويلها: يؤثرون الاستكثار من الدنيا للاستكثار من الثواب.
{ والآخِرةُ خَيْرٌ وأَبْقَى } فيه وجهان:
أحدهما: خير للمؤمن من الدنيا، وأبقى للجزاء.
الثاني: ما قاله قتادة خير في الخير وأبقى في البقاء.
ويحتمل به وجهاً ثالثاً: يتحرر به الوجهان: والآخرة خير لأهل الطاعة وأبقى على أهل الجنة.

{ إنّ هذا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى } فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: يعني أن الآخرة خير وأبقى في الصحف الأولى، قاله قتادة.

الثاني: أن ما قصَّهُ الله في هذه السورة هو من الصحف الأولى.

الثالث: هي كتب الله كلها، وحكى وهب بن منبه في المبتدإ أن جميع الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه مائة صحيفة وخمس صحف وأربعة كتب، منها خمسة وثلاثون صحيفة أنزلها على شيث بن آدم وخمسون صحيفة أنزلها على إدريس، وعشرون صحيفة أنزلها على إبراهيم، وأنزل التوراة على موسى، والزبور على داود، والإنجيل على عيسى، والفرقان على محمد عليهم السلام.

Alaalaa Khaazin 87

تفسير سورة الاعليٰ

تفسير الخازن

* تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل/ الخازن (ت 725 هـ)
مصنف و مدقق

{ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلأَعْلَىٰ } * { ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ } * { وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ } * { وَٱلَّذِيۤ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ }

قوله عزّ وجلّ: { سبح اسم ربك الأعلى } أي قل سبحان ربي الأعلى، وهو قول جماعة من الصحابة والتابعين يدل عليه ما روي عن ابن عباس **" أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ { سبّح اسم ربك الأعلى } ، فقال سبحان ربي الأعلى "** ،
ذكره البغوي بإسناد الثعلبي، وقيل معناه نزه ربك الأعلى عما يصفه الملحدون، فعلى هذا يكون الاسم صلة، وقيل معناه نزه تسمية ربك الأعلى بأن تذكره وأنت له معظم، ولذكره محترم.
وقال ابن عباس: سبّح أي صل بأمر ربك الأعلى.
عن عقبة بن عامر، قال:

"لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم، ولما نزلت { سبّح اسم ربك الأعلى } قال: اجعلوها في سجودكم "
أخرجه أبو داود { الذي خلق فسوى } أي خلق كل ذي روح فسوى اليدين والرجلين والعينين، وقيل خلق الإنسان مستوياً معتدل القامة.
{ والذي قدر فهدى } قيل قدر الأرزاق وهدى لاكتسابها، وقيل قدر لكل شيء شكله فهدى، أي فعرف كيف يأتي الذكر الأنثى وقيل قدر مدة الجنين في الرحم وهداه إلى الخروج منه، وقيل قدر السعادة لأقوام، والشقاوة لأقوام، ثم هدى كل فريق من الطائفتين لسلوك سبيل ما قدر له، وعليه، وقيل قدر الخير والشر، وهدى إليهما، وقيل قدر أي أعطى كل حيوان ما يحتاج إليه، وهدى الأنعام وسائر الحيوانات لمراعيها، وهو قوله تعالى: { والذي أخرج المرعى } أي أنبت العشب وما ترعاه الأنعام من أخضر وأصفر وأحمر وأبيض وغير ذلك.
{ فَجَعَلَهُ غُثَآءً أَحْوَىٰ **}** * **{** سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَىٰ **}** * **{** إِلاَّ مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ **}** * **{** وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ **}** * **{** فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ **}** * **{** سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ **}** * **{** وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلأَشْقَى **}** * **{** ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ **}** * **{** ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَا **}** * **{** قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ **}**

{ فجعله } يعني المرعى بعد الخضرة
{ غثاء } أي هشيماً يابساً بالياً كالغثاء الذي تراه فوق السيل.
{ أحوى } أي أسود بعد الخضرة، وذلك أن الكلأ إذا جف ويبس سود.

قوله عزّ وجلّ: { سنقرئك } أي نعلمك القرآن بقراءة جبريل عليك.
{ فلا تنسى } يعني ما يقرأ عليك، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل جبريل بالوحي، لم يفرغ من آخر الآية حتى يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأولها، مخافة أن ينساها، فأنزل الله تعالى
{ سنقرئك فلا تنسى } فلم ينس شيئاً بعد ذلك

{ إلا ما شاء الله } يعني أن تنساه وهو ما نسخ الله تعالى تلاوته من القرآن ورفعه من الصدور، وقيل معناه إلا ما شاء الله أن تنساه، ثم تذكره بعد ذلك،

كما صح من حديث عائشة رضي الله عنها. قال: **" سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يقرأ في سورة بالليل فقال يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا، آية كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا "**

وفي رواية **" كنت أسقطتهن من سورة كذا "** أخرجاه في الصحيحين، وقيل هذا الاستثناء لم يقع، ولم يشأ الله أن ينسيه شيئاً.

{ إنه يعلم الجهر } يعني من القول والفعل.

{ وما يخفى } يعني منهما والمعنى، أنه تعالى يعلم السر والعلانية.

{ ونيسرك لليسرى } أي نهون عليك أن تعمل خيراً ونسهله عليك حتى تعمله، وقيل نوفقك للشريعة اليسرى وهي الحنيفية السمحة، وقيل هو متصل بالكلام الأول، والمعنى إنه يعلم الجهر مما تقرؤوه على جبريل إذا فرغ من التلاوة، وما يخفى مما تقرؤه في نفسك مخافة النسيان، ثم وعده فقال: ونيسرك لليسرى أي نهون عليك الوحي حتى تحفظه، ولا تنساه.

{ فذكر } أي فعظ بالقرآن.

{ إن نفعت الذكرى } أي مدة نفع الموعظة، والتذكير، والمعنى عظ أنت، وذكر أن نفعت الذكرى، أو لم تنفع، إنما عليك البلاغ.

{ سيذكر من يخشى } أي سيتعظ من يخشى الله تعالى.

{ ويتجنبها } أي الذكرى ويتباعد عنها.

{ الأشقى } أي في علم الله تعالى،

{ الذي يصلى النار الكبرى } أي النار العظيمة الفظيعة، وقيل النار الكبرى هي نار الآخرة، والنار الصغرى هي نار الدنيا

{ ثم لا يموت فيها } أي في النار فيستريح

{ ولا يحيى } أي حياة طيبة تنفعه.

قوله عزّ وجلّ: { قد أفلح من تزكى } أي تطهّر من الشرك وقال لا إله إلا الله قاله ابن عباس:

وقيل قد أفلح من كان عمله زاكياً، وقيل هو صدقة الفطر، روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في قوله:
{ قد أفلح من تزكى } قال: أعطى صدقة الفطر.
{ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ **}** * **{** بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا **}** * **{** وَٱلآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ **}** * **{** إِنَّ هَـٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلأُولَىٰ **}** * **{** صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ **}**

{ وذكر اسم ربه فصلى } قال: خرج إلى العيد فصلي وكان ابن مسعود يقول: رحم الله امرأ تصدق ثم صلى. ثم يقرأ هذه الآية وقال نافع: كان ابن عمر إذا صلى الغداة يعني يوم العيد قال: يا نافع أخرجت الصدقة، فإن قلت نعم مضى إلى المصلى، وإن قلت لا قال: فالآن فأخرج، فإنما هذه الآية في هذا قد أفلح من تزكى، وذكر اسم ربه فصلى.

فإن قلت فما وجه هذا التأويل، وهذه السورة مكية، ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر.

قلت يجوز أن يكون النزول سابقاً على الحكم، كما قال: { وأنت حل بهذا البلد } وهذه السورة مكية، وظهر أثر الحل يوم الفتح، وكذا نزل بمكة { سيهزم الجمع ويولون الدبر } ، وكان ذلك يوم بدر. قال عمر بن الخطاب: كنت لا أدري أي جمع سيهزم، فلما كان يوم بدر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع، ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر.

ووجه آخر وهو أنه كان في علم الله تعالى أنه سيكون ذلك فأخبر عنه، وقيل وذكر اسم ربه فصلى يعني الصلوات الخمس، وقيل أراد بالذكر تكبيرات العيد، وبالصلاة صلاة العيد.

قوله عزّ وجلّ: { بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى } يعني أن الدنيا فانية والآخرة باقية، والباقي خير من الفاني، وأنتم تؤثرون الفاني على الباقي قال عرفجة الأشج: كنا عند ابن مسعود فقرأ هذه الآية فقال لنا أتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة.

قلنا لا قال: لأن الدنيا حضرت، وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها وبهجتها، وإن الآخرة تغيبت وزويت عنا فأحببنا العاجل، وتركنا الآجل، وقيل إن أريد بذلك الكفار، فالمعنى أنهم يؤثرون الدنيا على الآخرة، لأنهم لا يؤمنون بالآخرة، وإن أريد بذلك المسلمون بالمعنى يؤثرون الاستكثار من الدنيا على الثواب الذي يحصل في الآخرة، وهو خير وأبقى.
{ إن هذا } أي الذي ذكر من قوله قد أفلح من تزكى إلى هنا، وهو أربع آيات.
{ لفي الصحف الأولى } أي الكتب المتقدمة التي نزلت قبل القرآن، ذكر في تلك الصحف فلاح من تزكى والمصلي وإيثار الدنيا وإن الآخرة خير وأبقى ثم بيّن ذلك فقال تعالى:
{ صحف إبراهيم وموسى } يعني أن هذا القدر المذكور في صحف إبراهيم وموسى، وقيل إنّه مذكور في جميع صحف الأنبياء التي منها صحف إبراهيم وموسى لأن هذا القدر المذكور في هذه الآيات لا تختلف فيه شريعة، بل جميع الشرائع متفقة عليه.

" عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال " دخلت المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن للمسجد تحية فقلت وما تحيته يا رسول الله، قال: ركعتان تركعهما، قلت يا رسول الله هل أنزل الله عليك شيئاً مما كان في صحف إبراهيم وموسى؟
قال: يا أبا ذر اقرأ {قد أفلح من تزكى، وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا، والآخرة خير وأبقى، إن هذا لفي الصحف الأولى، صحف إبراهيم وموسى }
قلت يا رسول الله، فما صحف موسى، قال: كانت عبراً كلها:
عجبت لمن أيقن بالموت، كيف يفرح؟!
عجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك؟!
عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن؟
عجبت لمن أيقن بالقدر ثم ينصب!
عجبت لمن أيقن بالحساب ثم لا يعمل " "

! أخرج هذا الحديث رزين في كتابه، وذكره ابن الأثير في كتابه جامع الأصول. ولم يعلم عليه شيئاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال

: **" كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الأعلى، وقل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد في ركعة ركعة "**

أخرجه الترمذي والنسائي. وعن عبد العزيز بن جريج قال

" سألنا عائشة بأي شيء كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يقرأ في الأولى بسبح اسم ربك الأعلى، وفي الثانية بقل يا أيها الكافرون، وفي الثالثة بقل هو الله أحد المعوذتين " ،

أخرجه أبو داود، والنسائي، والترمذي. وقال: حديث حسن غريب، والله أعلم.

* تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل/ النسفي (ت 710 هـ)
مصنف و مدقق

{ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلأَعْلَىٰ **}** * **{** ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ **}** * **{** وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ **}** * **{** وَٱلَّذِيۤ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ **}** * **{** فَجَعَلَهُ غُثَآءً أَحْوَىٰ **}** * **{** سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَىٰ **}** * **{** إِلاَّ مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ **}** * **{** وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ **}** * **{** فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ **}** * **{** سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ **}** * **{** وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلأَشْقَى **}** * **{** ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ **}** * **{** ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَا **}** * **{** قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ **}** * **{** وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ **}** * **{** بَلْ تُؤْثِرُونَ

ﭐلْحَيَاةَ ﭐلدُّنْيَا } * { وَﭐلآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ } * { إِنَّ هَـٰذَا لَفِي ﭐلصُّحُفِ ﭐلأُولَىٰ } * { صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ }

مكية وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

{ سَبِّحِ ﭐسْمَ رَبّكَ ﭐلأَعْلَىٰ } نزه ذاته عما لا يليق به، والاسم صلة وذلك بأن يفسر الأعلى بمعنى العلو الذي هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلو في المكان. وقيل: قل سبحان ربي الأعلى. وفي الحديث لما نزلت قال عليه السلام: **" اجعلوها في سجودكم "** { ﭐلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ } أي خلق كل شيء فسوى خلقه تسوية ولم يأت به متفاوتاً غير ملتئم ولكن على إحكام واتساق، دلالة على أنه صادر عن عالم حكيم، أو سوَّاه على ما فيه منفعة ومصلحة { وَﭐلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ } أي قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه إليه وعرفه وجه الانتفاع به، أو فهدى وأضل ولكن حذف وأضل اكتفاء كقوله:

{ يُضِلُّ مَن يَشَآء وَيَهْدِى مَن يَشَآء }

[النحل:93] [فاطر: 8]. { قُدِرَ } عليّ { وَﭐلَّذِى أَخْرَجَ ﭐلْمَرْعَىٰ } أنبت ما ترعاه الدواب { فَجَعَلَهُ غُثَاءً } يابساً هشيماً { أَحْوَىٰ } أسود { فأحوى } صفة الغثاء { أَحْوَىٰ سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَىٰ } سنعلمك القرآن حتى تنساه { إِلاَّ مَا شَاء ﭐللَّهُ } أن ينسخه وهذا بشارة من الله لنبيه أن يحفظ عليه الوحي حتى لا ينفلت منه شيء إلا ما شاء الله أن ينسخه فيذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته. وسأل ابن كيسان النحوي جنيداً عنه فقال: فلا تنسى العمل به فقال: مثلك يصدر. وقيل: قوله { فَلاَ تَنسَىٰ } على النهي والألف مزيدة للفاصلة كقوله:

{ ﭐلسَّبِيلاْ }

[الأحزاب: 67] أي فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه إلا ما شاء الله أن ينسيكه برفع تلاوته { إِنَّهُ يَعْلَمُ ﭐلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ } أي إنك تجهر بالقراءة مع قراءة جبريل مخافة التفلت والله يعلم جهرك معه وما في نفسك مما يدعوك إلى الجهر، أو ما تقرأ في نفسك مخافة

النسيان، أو يعلم ما أسررتم وما أعلنتم من أقوالكم وأفعالكم وما ظهر وما بطن من أحوالكم.

{ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ } معطوف على { سَنُقْرِئُكَ } وقوله { إِنَّهُ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ } اعتراض ومعناه ونوفقك للطريقة التي هي أيسر وأسهل يعني حفظ الوحي. وقيل: للشريعة السمحة التي هي أيسر الشرائع أو نوفقك لعمل الجنة { فَذَكِّرْ } عظ بالقرآن { إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ } جواب «إن» مدلول قوله { فَذَكِّرْ } قيل: ظاهره شرط ومعناه استبعاد لتأثير الذكرى فيهم. وقيل: هو أمر بالتذكير على الإطلاق كقوله:
{ فَذَكّرْ إِنَّمَا أنتَ مُذَكّرٌ }
[الغاشية: 21]. غير مشروط بالنفع { سَيَذَّكَّرُ } سيتعظ ويقبل التذكرة { مَن يَخْشَىٰ } الله وسوء العاقبة { وَيَتَجَنَّبُهَا } ويتباعد عن الذكرى فلا يقبلها { ٱلأَشْقَى } الكافر أو الذي هو أشقى الكفرة لتوغله في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
قيل: نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة { ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ } يدخل نار جهنم والصغرى نار الدنيا { ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا } فيستريح من العذاب { وَلاَ يَحْيَىٰ } حياة يتلذذ بها. وقيل: «ثم» لأن الترجح بين الحياة والموت أفظع من الصلي فهو متراخٍ عنه في مراتب الشدة.

{ قَدْ أَفْلَحَ } نال الفوز { مَن تَزَكَّىٰ } تطهر من الشرك أو تطهر للصلاة أو أدى الزكاة تفعل من الزكاة كتصدق من الصدقة { وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِ } وكبر للافتتاح { فَصَلَّىٰ } الخمس وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح، وعلى أنها ليست من الصلاة، لأن الصلاة عطفت عليها وهو يقتضي المغايرة، وعلى أن الافتتاح جائز بكل اسم من أسمائه عز وجل. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه وصلى له. وعن الضحاك: وذكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى صلاة العيد { بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا }

على الآخرة فلا تفعلون ما به تفلحون. والمخاطب به الكافرون دليله قراءة أبي عمرو { يؤثرون } بالياء { وَٱلآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ } أفضل من نفسها وأدوم { إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلأُولَىٰ } هذا إشارة إلى قوله { قَدْ أَفْلَحَ } إلى { أَبْقَىٰ } أي أن معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف أو إلى ما في السورة كلها، وهو دليل على جواز قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة لأنه جعله مذكوراً في تلك الصحف مع أنه لم يكن فيها بهذا النظم وبهذه اللغة { صُحُفِ إِبْرٰهِيمَ وَمُوسَىٰ } بدل من { ٱلصُّحُفِ ٱلأُولَىٰ } وفي الأثر وفي صحف إبراهيم: ينبغي للعاقل أن يكون حافظاً للسانه عارفاً بزمانه مقبلاً على شأنه.